مُهَذَّبُ خُطْبَةِ:

مَظَاهِرُ الْكِبْرِ وَالِاسْتِعْلَاءِ وَالصَّدِّ عَنْ دِينِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ

جَمْعٌ وَتَرْتِيبٌ

مِنْ خُطَبِ وَمُحَاضَرَاتِ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ

أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ رَسْلَان

حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

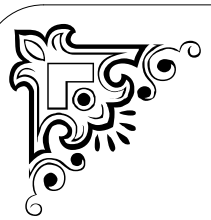

الْأَمْرُ بِالتَّوَاضُعِ وَحْيٌ إِلَهِيٌّ

فَفِي «الصَّحِيحِ»(١) قَالَ ﷺ: «**وَأَوْحِيَ إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا**(٢) **حَتَّىٰ لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ**(٣)، **وَلَا يَبْغِي أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ**(٤)». رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

«**وَالتَّوَاضُعُ الْمَحْمُودُ نَوْعَانِ:**

* **الْأَوَّلُ**: تَوَاضُعُ الْعَبْدِ عِنْدَ أَمْرِ اللهِ امْتِثَالًا، وَعِنْدَ نَهْيِهِ اجْتِنَابًا.

* **وَالنَّوْعُ الثَّانِي**: تَوَاضُعُهُ لِعَظَمَةِ الرَّبِّ وَجَلَالِهِ، وَخُضُوعِهِ لِعِزَّتِهِ وَكِبْرِيَائِهِ»(٥).

---

(١) «**صحيح مسلم**»: (٤/ ٢١٩٧-٢١٩٨، رقم ٢٨٦٥)، من حديث: عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ رضي الله عنه.

(٢) «**أَنْ تَوَاضَعُوا**»، أَيْ: أَنْ أَقُولَ لَكُمْ تَوَاضَعُوا، والتَواضُعُ: التذلُّلُ، وهو مأخوذ من مادّة (وضع) الّتي تدلّ علىٰ الخفض للشّيء وحطّه، يقال: وضعته بالأرض وضعا، ووضعت المرأة ولدها.

(٣) «**حَتَّىٰ لَا يَفْخَرَ**» بِفَتْحِ الْخَاءِ مِنَ الْفَخْرِ، وَهُوَ: ادِّعَاءُ الْعَظَمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالشَّرَفِ، أَيْ: كَيْ لَا يَتَعَاظَمَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ.

(٤) «**وَلَا يَبْغِيَ**» بِكَسْرِ الْغَيْنِ، أَيْ: وَلَا يَظْلِمُ.
وَفِي الْجَمْعِ بَيْنَهُمَا إِشْعَارٌ بِأَنَّ الْفَخْرَ وَالْبَغْيَ نَتِيجَتَا الْكِبْرِ؛ لِأَنَّ الْمُتَكَبِّرَ هُوَ الَّذِي يَرْفَعُ نَفْسَهُ فَوْقَ كُلِّ أَحَدٍ وَلَا يَنْقَادُ لِأَحَدٍ.

(٥) «**الروح**»: (ص٢٣٤).

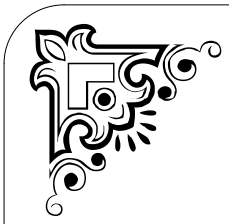

النَّبِيُّ ﷺ الْأُسْوَةُ فِي التَّوَاضُعِ

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَلَّمَ الدُّنْيَا كُلَّهَا كَيْفَ يَكُونُ الْإِخْبَاتُ وَالْخُشُوعُ وَالتَّوَاضُعُ لِلهِ جَلَّوَعَلَا، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**لَا تُطْرُونِي**(١) **كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ؛ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ** ﷺ»(٢).

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُرَاجِعُ مَنْ أَخَذَتْهُ الْهَيْبَةُ -وَحُقَّ لَهُ أَنْ تَأْخَذَهُ- مَنْ أَخَذَتْهُ الْهَيْبَةُ إِذَا حَضَرَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَارْتَعَدَتْ فَرَائِصُهُ، فَكَانَ يَقُولُ لَهُ: «**يَا أَخَ الْعَرَبِ! هَوِّنْ عَلَيْكَ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ**(٣) **بِمَكَّةَ** ﷺ»(٤).

---

(١) «**الْإِطْرَاءِ**»، هُوَ: مُجَاوَزَةُ الحَدِّ فِي المَدْح، والكَذِبُ فِيهِ.

(٢) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (٦/ ٤٧٨، رقم ٣٤٤٥) و (١٢/ ١٤٤، رقم ٦٨٣٠)، من حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ، سَمِعَ عُمَرَ ﷺ، يَقُولُ عَلَىٰ المِنْبَرِ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ، يَقُولُ: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتْ النَّصَارَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ**،... » الحديث.

(٣) «**الْقَدِيدُ**»: اللَّحْمُ الْمُجَفَّفُ الْمُقَطَّعُ قِطَعًا طِوَالًا، وَهُوَ أَقَلُّ أَنْوَاعِ اللَّحْمِ أَكْلًا، وَفَائِدَتُهُ لِلْجِسْمِ قَلِيلَةٌ.

(٤) أخرجه ابن ماجه في «**السنن**»: (٢/ ١١٠١، رقم ٣٣١٢)، من حديث: أَبِي مَسْعُودٍ، =

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ مِثَالًا لِلْعَبْدِ الْقَانِتِ الْمُنِيبِ: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ؛ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ ﷺ**»(١).

فَحَقَّقَ الْعُبُودِيَّةَ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، سُلُوكًا وَتَطْبِيقًا وَعَمَلًا، وَكَانَ لِلهِ مُتَوَاضِعًا.

نَحَرَ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ بَدَنَةً، نَحَرَهَا بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ، وَكَانَ يُمْكِنُ أَنْ يُنِيبَ وَأَنْ يُوَكِّلَ، وَلَكِنْ نَحَرَ بِيَدِهِ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ.

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ سَيِّدَ الْمُتَوَاضِعِينَ..

النَّبِيُّ ﷺ مِنْ تَوَاضُعِهِ لِرَبِّهِ؛ لَمَّا كَانَ فِي بِنَاءِ مَسْجِدِهِ كَانَ يَحْمِلُ اللَّبِنَ عَلَىٰ عَاتِقِهِ ﷺ.

رَسُولُ اللهِ ﷺ يَحْمِلُ التُّرَابَ فِي بِنَاءِ الْمَسْجِدِ عَلَىٰ كَتِفِهِ وَيَحْمِلُ اللَّبِنَ عَلَىٰ كَتِفِهِ؛ تَوَاضُعًا لِلهِ، وَمُشَارَكَةً فِي تَحْصِيلِ الْأَجْرِ لِلهِ -صَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ-(٢).

=

قَالَ:

أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ، فَكَلَّمَهُ، فَجَعَلَ تُرْعَدُ فَرَائِصُهُ، فَقَالَ لَهُ: «**هَوِّنْ عَلَيْكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ**».

والحديث صحح إسناده الألباني في «**الصحيحة**»: (٤/ ٤٩٦، رقم ١٨٧٦).

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرج البخاري في «**الصحيح**»: (٧/ ٢٦٥، رقم ٣٩٣٢)، ومسلم في «**الصحيح**»: =

النَّبِيُّ ﷺ كَانَ يُسَابِقُ عَائِشَةَ، فَيَسْبِقُهَا وَتَسْبِقُهُ(١).

نَبِيُّكُمْ ﷺ كَانَ فِي بَيْتِهِ يَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ(٢)، .....

=

(١/ ٣٧٣، رقم٥٢٤)، من حديث: أَنَسٍ، قَالَ:

جَعَلَ المُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ يَنْقُلُونَ ذَاكَ الصَّخْرَ -أي لبناء المسجد- وَرَسُولُ اللهِ ﷺ مَعَهُمْ، وَهُمْ يَقُولُونَ: «**اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُ الآخِرَهْ، فَانْصُرِ الأَنْصَارَ وَالمُهَاجِرَهْ**».

والحديث بنحوه أخرجه البخاري أيضا: (٧/ ٢٣٩-٢٤٠، رقم ٣٩٠٦)، عن ابْنِ شِهَابٍ، قال، أَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ، مرسلا:

«أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ طَفِقَ يَنْقُلُ مَعَهُمُ اللَّبِنَ فِي بُنْيَانِهِ وَيَقُولُ، وَهُوَ يَنْقُلُ اللَّبِنَ: «**هَذَا الحِمَالُ لَا حِمَالَ خَيْبَرْ، هَذَا أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرْ**»، وَيَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنَّ الأَجْرَ أَجْرُ الآخِرَهْ، فَارْحَمِ الأَنْصَارَ، وَالمُهَاجِرَهْ**».

(١) أخرج أبو داود في «**السنن**»: (٣/ ٢٩ - ٣٠، رقم ٢٥٧٨)، وابن ماجه في «**السنن**»: (٢/ ٦٣٦، رقم ١٩٧٩)، وأحمد في «**المسند**»: (٦/ ٢٦٤)، والنسائي في «**السنن الكبرىٰ**»: (٨/ ١٧٨)، من حديث: عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ:

خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَأَنَا جَارِيَةٌ لَمْ أَحْمِلِ اللَّحْمَ وَلَمْ أَبْدُنْ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: «**تَقَدَّمُوا**» ثُمَّ قَالَ: «**تَعَالَيْ أُسَابِقْكِ**»، فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ عَلَىٰ رِجْلِي، فَلَمَّا كَانَ بَعْدُ خَرَجْتُ مَعَهُ فِي سَفَرٍ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: «**تَقَدَّمُوا**» ثُمَّ قَالَ: «**تَعَالَيْ أُسَابِقْكِ**» وَنَسِيتُ الَّذِي كَانَ، وَقَدْ حَمَلْتُ اللَّحْمَ وَبَدُنْتُ، فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي، فَجَعَلَ يَضْحَكُ، وَهُوَ يَقُولُ: «**هَذِهِ بِتِلْكَ السَّبْقَةِ**».

والحديث صححه الألباني في «**إرواء الغليل**»: (٥/ ٣٢٧ - ٣٢٨، رقم ١٥٠٢).

(٢) «**يَخْصِفُ**» بِكَسْرِ الصَّادِ، أَيْ: يَخْرُزُ وَيُرَقِّعُ، ويُطْبِقُ طَاقَةً عَلَىٰ طَاقَةٍ، وَأَصْلُ الْخَصْفِ =

وَيَقْضِي حَاجَةَ نَفْسِهِ ﷺ(١)، كَانَ فِي بَيْتِهِ فِي حَاجَةِ أَهْلِهِ ﷺ(٢).

❀❀❀

=

الضَّمُّ وَالْجَمْعُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٢]، أَيْ يُطْبِقَانِ وَرَقَةً وَرَقَةً عَلَىٰ بَدَنِهِمَا.

(١) أخرجه عبد الرزاق في «**المصنف**» جامع معمر: (١١/ ٢٦٠، رقم ٢٠٤٩٢)، وأحمد في «**المسند**»: (٦/ ١٢١ و ١٦٧ و ٢٦٠)، وعبد بن حميد كما في المنتخب من «**المسند**»: (ص٤٣١، رقم ١٤٨٢)، والبخاري في «**الأدب المفرد**»: (ص١٤٢، رقم ٥٣٩ و ٥٤٠)، وابن حبان في «**الصحيح**» بترتيب ابن بلبان: (١٢/ ٤٩٠ - ٤٩١، رقم ٥٦٧٧) و (١٤/ ٣٥١ - ٣٥٢، رقم ٥٦٧٧)، من حديث: عَائِشَةَ أَنَّهَا سُئِلَتْ مَا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ؟

قَالَتْ: «**كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ كَمَا يَعْمَلُ أَحَدُكُمْ فِي بَيْتِهِ**».

وفي رواية لأحمد (٦/ ٢٥٦): «**كَانَ بَشَرًا مِنَ الْبَشَرِ يَفْلِي ثَوْبَهُ، وَيَحْلُبُ شَاتَهُ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ**».

والحديث صححه الألباني في «**صحيح الأدب المفرد**»: (ص٢٠٤، رقم ٤١٩)، والوادعي في «**الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين**»: (٢/ ٤٧٦، رقم ١٥٤٣).

(٢) أخرج البخاري في «**الصحيح**»: (١٠/ ٤٦١، رقم ٦٠٣٩)، من طريق: الأَسْوَدِ، قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ: مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي أَهْلِهِ؟ قَالَتْ:

«**كَانَ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ قَامَ إِلَىٰ الصَّلَاةِ**».

وفي رواية له (٩/ ٥٠٧، رقم ٥٣٦٣)، بلفظ: «... ، **فَإِذَا سَمِعَ الأَذَانَ خَرَجَ**».

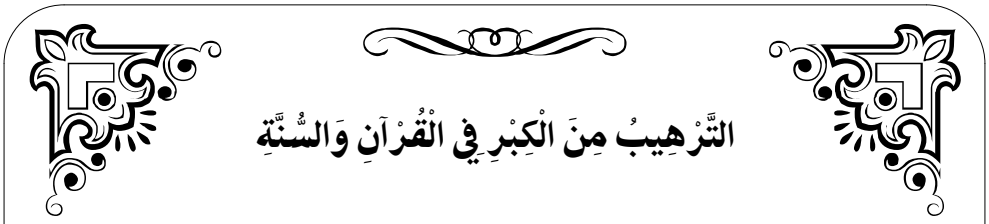

التَّرْهِيبُ مِنَ الْكِبْرِ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ

عِبَادَ اللهِ! لَا شَكَّ أَنَّ الْقَلْبَ هُوَ أَهَمُّ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَيْهِ الْعَبْدُ فِي مَعْرِفَةِ عِلَلِهِ وَآفَاتِهِ، وَتَطْهِيرِهِ مِمَّا يَعْرِضُ لَهُ مِنَ الْأَمْرَاضِ الَّتِي تُلِمُّ بِهِ وَتُصِيبُهُ.

وَمِنَ الْآفَاتِ الَّتِي تُحِيطُ بِالْقَلْبِ، وَتُفْسِدُ الْعَمَلَ، وَتُبَغِّضُ الْإِنْسَانَ إِلَىٰ رَبِّ الْعِزَّةِ آفَةُ الْكِبْرِ.

وَالْكِبْرُ دَاءٌ خَفِيٌّ يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ الْقَلْبُ، **وَهَذَا الْكِبْرُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ مَعْنَاهُ:** التَّعَظُّمُ، فَمَهْمَا تَعَظَّمَتْ نَفْسُ الْإِنْسَانِ فِي عَيْنِ ذَاتِهِ فَهُوَ مُتَكَبِّرٌ.

وَأَمَّا مَعْنَاهُ فِي الدِّينِ؛ فَفِيهِ تَعْرِيفُ الْأَمِينِ ﷺ، وَلَا نُرِيدُ تَعْرِيفًا بَعْدَهُ، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**»(١).

وَ«**بَطَرُ الْحَقِّ**»: دَفْعُهُ عَلَىٰ قَائِلِهِ؛ اسْتِصْغَارًا لِشَأْنِهِ، وَاحْتِقَارًا لِقَدْرِهِ.

---

(١) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: (١/ ٩٣، رقم ٩١)، من حديث: عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه:

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**».

«**وَغَمْطُ النَّاسِ**»: احْتِقَارُهُمْ.

وَقَدْ وَرَدَ فِي ذَمِّ الْكِبْرِ الْآيَاتُ الْكَثِيرَةُ وَالْأَحَادِيثُ الْعَظِيمَةُ الْمُتَوَاتِرَةُ؛ فَفِي ذَلِكَ يَقُولُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

وَيَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

وَيَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ [إبراهيم: ١٥].

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [غافر: ٦٠]؛ يَعْنِي: أَذِلَّةً صَاغِرِينَ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ يُخْبِرُنَا أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَنْزِلَ شَيْءٌ مِنْهُ بِقَلْبِ عَبْدٍ مُسْلِمٍ، وَلَا ذَرَّةٍ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَدِيثِ مُسْلِمٍ -وَهُوَ مِنْ أَفْرَادِهِ، يَرْوِيهِ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ-: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**»(١).

وَالنَّبِيُّ ﷺ يُخْبِرُنَا عَنْ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِمَاذَا يَكُونُ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَلِمَاذَا لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مُسْتَكْبِرٌ، وَلَا يُفْلِحُ الْمُسْتَكْبِرُونَ لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ، وَلَا يُحِبُّهُمُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ فِيمَا يَرْوِيهِ عَنْ رَبِّهِ: «**الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي**(٢)، .....

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «**الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي**» أصل (الرداء): ما يَقَعُ علىٰ المَنكِبَيْن ومُجْتمع العُنُق =

فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا أَلْقَيْتُهُ فِي جَهَنَّمَ وَلَا أُبَالِي»(١)؛ لِأَنَّهُ يُنَازِعُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي صِفَةٍ اخْتَصَّ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهَا نَفْسَهُ.

وَقَالَ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَىٰ صِحَّتِهِ: «**لَا يَنْظُرُ اللهُ إِلَىٰ رَجُلٍ يَجُرُّ إِزَارَهُ بَطَرًا**»(٢)»(٣).

وَمَنْ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ إِلَيْهِ لَا يَرْحَمُهُ، وَأَمَّا مَنْ نَظَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ يَرْحَمُهُ.

=

من الثياب، وأصل (الإزار): الثوب الذي يشد علىٰ الوسط.

ومعنىٰ الْكَلَام: أَن الْكِبْرِيَاء وَالْعَظَمَة صفتان لله اخْتصَّ بهما لَا يشركهُ فيهمَا أحد، وَلَا يَنْبَغِي لمخلوق أَن يتعاطاهما؛ لِأَن صفة الْمَخْلُوق التَّوَاضُع والتذلل. وَضرب الرِّدَاء والإزار مثلا، يَقُول - وَالله أعلم: كَمَا لَا يُشْرك الْإِنْسَان فِي رِدَائه وَإِزَاره أحد، فَكَذَلِك لَا يشركني فِي الْكِبْرِيَاء وَالْعَظَمَة مَخْلُوق.

(١) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: (٤/ ٢٠٢٣، رقم ٢٦٢٠)، من حديث: أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ قَالَا:

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**الْعِزُّ إِزَارُهُ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ**».

وفي رواية عند أبي داود (٤/ ٥٩، رقم ٤٠٩٠) وابن ماجه (٢/ ١٣٩٧، رقم ٤١٧٤)، من حديث: أبي هريرة، مرفوعا، قال: قَالَ اللهُ ﷻ: «**الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ**».

(٢) «**بَطَرًا**» بفتح الطاء مصدر في موضع الحال، ويجوز كسرها: اسم فاعل، فهو مفعول من أجله. أي: لأجل بطره. والبطر: الطغيان عند تتابع نعم الله تعالىٰ وعافيته.

(٣) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (١٠/ ٢٥٧-٢٥٨، رقم ٥٧٨٨)، ومسلم في «**الصحيح**»: (٣/ ١٦٥٣، رقم ٢٠٨٧)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

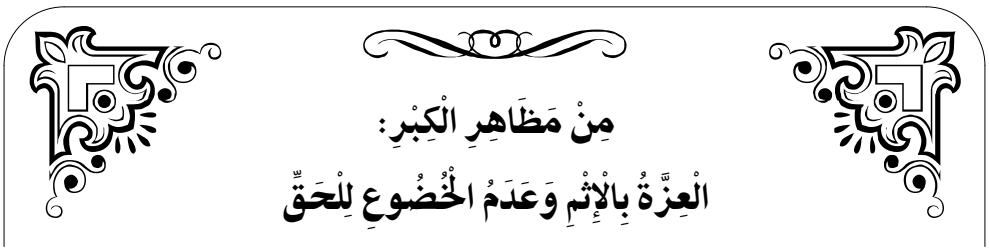

مِنْ مَظَاهِرِ الْكِبْرِ:
الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ وَعَدَمُ الْخُضُوعِ لِلْحَقِّ

لَقَدْ ذَكَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى **أَنَّ الْمُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ بِمَعَاصِي اللهِ، إِذَا أُمِرَ بِتَقْوَى اللهِ تَكَبَّرَ وَأَنِفَ؛ قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۚ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴾ [البقرة: ٢٠٤-٢٠٦].

وَهُنَاكَ مَنْ يَتَكَبَّرُ عَلَى أَمْرِ رسولِ اللهِ ﷺ فَيَلْقَى جَزَاءَ تَكَبُّرِهِ وَعِنَادِهِ؛ فَقَدْ أَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»[1] مِنْ رِوَايَةِ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: «**كُلْ بِيَمِينِكَ**».

قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ.

قَالَ: «**لَا اسْتَطَعْتَ**»، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ.

قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَىٰ فِيهِ».

---

(١) «صحيح مسلم»: ٣/ ١٥٩٩، رقم (٢٠٢١).

يَبِسَتْ يَدُهُ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ رَفْعَهَا إِلَىٰ فِيهِ بَعْدَ ذَلِكَ؛ عُقُوبَةً لَهُ.

فَهَذِهِ عُقُوبَةٌ عَاجِلَةٌ.

وَالْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ خَالَفَ سُنَّةَ الرَّسُولِ ﷺ تَكَبُّرًا؛ مُعَرَّضٌ لِلْعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا.

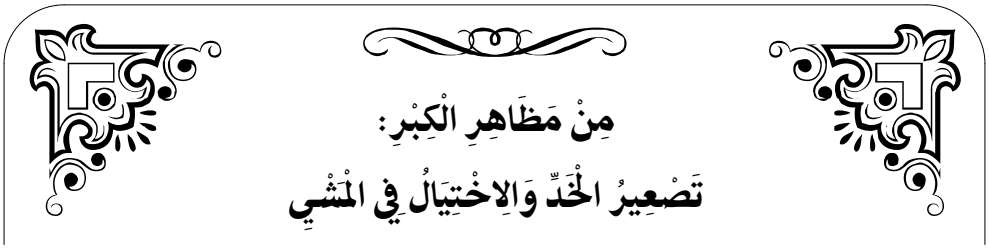

مِنْ مَظَاهِرِ الْكِبْرِ:
تَصْعِيرُ الْخَدِّ وَالِاخْتِيَالُ فِي الْمَشْيِ

مِنْ مَظَاهِرِ الْكِبْرِ الَّتِي نَهَى اللهُ عَنْهَا، وَحَذَّرَ مِنْهَا: تَصْعِيرُ الْخَدِّ لِلنَّاسِ، وَالِاخْتِيَالُ فِي الْمَشْيِ؛ فَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان: ١٨]؛ أَيْ: لَا تُمِلْهُ، وَتَعْبَسْ بِوَجْهِكَ للنَّاسَ؛ تَكَبُّرًا عَلَيْهِمْ وَتَعَاظُمًا.

﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾؛ أَيْ: بَطَرًا، فَخْرًا بِالنِّعَمِ، نَاسِيًا الْمُنْعِمَ، مُعْجَبًا بِنَفْسِكَ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ فِي نَفْسِهِ وَهَيْئَتِهِ وَتَعَاظُمِهِ ﴿فَخُورٍ﴾ بِقَوْلِهِ.

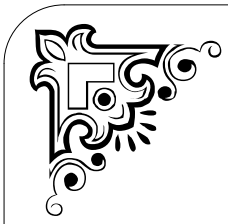
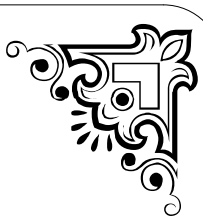

مِنْ مَظَاهِرِ الْكِبْرِ:
الِاخْتِيَالُ بِنِعَمِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى

لَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ ﷻ فِي كِتَابِهِ عَنْ قَارُونَ، وَكُفْرِهِ بِنِعْمَةِ رَبِّهِ، فَقَالَ حِكَايَةً عَنْهُ: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ﴾ [القصص: ٧٨].

الْإِنْسَانُ يَأْمَنُ مَكْرَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَيَغْتَرُّ بِاللهِ جَلَّوَعَلَا، يُؤْتِيهِ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ نِعَمَهُ، فيَمُنُّ عَلَيْهِ بِالصِّحَّةِ وَالْعَافِيَةِ، وَيَمُنُّ عَلَيْهِ بِالْوَلَدِ وَيُوَسِّعُ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، وَيُؤْتِيهِ مَا أَحَبَّ، وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَىٰ مَعْصِيَةِ اللهِ ﷻ؛ فَيَرَىٰ ذَلِكَ إِنَّمَا كَانَ بِمَلْكِهِ: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ﴾ [القصص: ٧٨]، وَحِينَئِذٍ يَأْخُذُهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ.

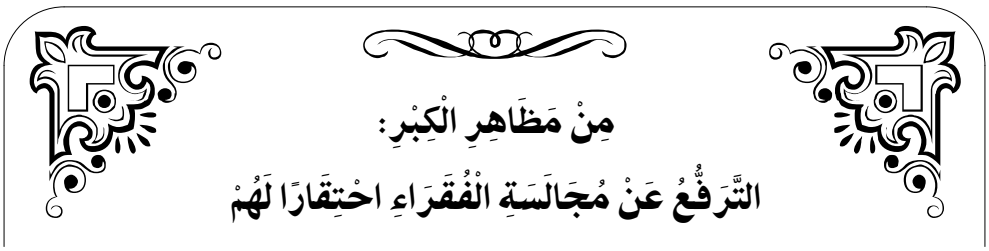

مِنْ مَظَاهِرِ الْكِبْرِ:
التَّرَفُّعُ عَنْ مُجَالَسَةِ الْفُقَرَاءِ احْتِقَارًا لَهُمْ

لَقَدْ أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَلَّا يَطْرُدَ عَنْهُ وَعَنْ مُجَالَسَتِهِ أَهْلَ الْعِبَادَةِ وَالْإِخْلَاصِ -رِغْبَةً فِي مُجَالَسَةِ غَيْرِهِمْ- مِنَ الْمُلَازِمِينَ لِدُعَاءِ رَبِّهِمْ دُعَاءَ الْعِبَادَةِ بِالذِّكْرِ وَالصَّلَاةِ وَنَحْوِهَا، وَدُعَاءَ الْمَسْأَلَةِ، فِي أَوَّلِ النَّهَارِ وَآخِرِهِ، وَهُمَ قَاصِدُونَ بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ، لَيْسَ لَهُمْ مِنَ الْأَغْرَاضِ سِوَىٰ ذَلِكَ الْفَرْضِ الْجَلِيلِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

وَمِنْ صُوَرِ الْكِبْرِ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ: قَصْرُ الدَّعْوَةِ عِنْدَ الْوَلَائِمِ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ دُونَ الْفُقَرَاءِ؛ اسْتِصْغَارًا لِشَأْنِهِمْ، وَالسُّنَّةُ أَنْ نَدْعُوَ إِلَىٰ الْوَلِيمَةِ

الصَّالِحِينَ فُقَرَاءَ كَانُوا أَوْ أَغْنِيَاءَ؛ لِقَوْلِهِ ﷺ: «**لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ**»(١).

فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَخُصَّ بِالدَّعْوَةِ الْأَغْنِيَاءَ دُونَ الْفُقَرَاءِ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ، يُدْعَىٰ لَهَا الْأَغْنِيَاءُ وَيُمْنَعُهَا الْمَسَاكِينُ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَىٰ اللهَ وَرَسُولَهُ ﷺ**»(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود في «**السنن**»: (٤/ ٢٥٩، رقم ٤٨٣٢)، والترمذي في «**الجامع**»: (٤/ ٦٠٠-٦٠١، رقم ٢٣٩٥)، من حديث: أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه.

والحديث حسنه الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٣/ ١٦٨، رقم ٣٠٣٦).

(٢) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (٩/ ٢٤٤، ٥١٧٧)، ومسلم في «**الصحيح**»: (٢/ ١٠٥٤-١٠٥٥، رقم ١٤٣٢)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

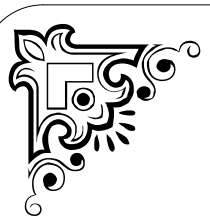
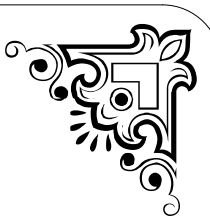

مِنْ مَظَاهِرِ الْكِبْرِ:
التَّرَفُّعُ عَنْ إِلْقَاءِ السَّلَامِ

إِنَّ إِلْقَاءَ السَّلَامِ لَهُ فَضْلٌ عَظِيمٌ؛ فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟

فَقَالَ: «**تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَىٰ مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ**»(١). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وَإِنَّ مِنْ مَظَاهِرِ الْكِبْرِ: التَّرَفُّعَ عَنْ إِلْقَاءِ السَّلَامِ عَلَى مَنْ هُوَ أَدْنَى مِنْهُ مَنْزِلَةً احْتِقَارًا لِشَأْنِهِ؛ وَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُسَلِّمُ عَلَى الصِّبْيَانِ؛ فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ مَرَّ عَلَىٰ صِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَفْعَلُهُ»(٢). مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (١/ ٥٦، رقم ١٢)، ومسلم في «**الصحيح**»: (١/ ٦٥، رقم ٣٩).

(٢) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (٧/ ٥٥، رقم ٦٢٤٧)، ومسلم في «**الصحيح**»: (٤/ ١٧٠٨، رقم ٢١٦٨).

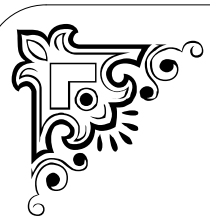

مِنْ مَظَاهِرِ الْكِبْرِ:
اللَّدَدُ فِي الْخُصُومَةِ وَالْفُجُورُ فِيهَا

لَقَدْ نَهَىٰ النَّبِيُّ ﷺ الْمُسْلِمِينَ عَنِ التَّبَاغُضِ بَيْنَهُمْ فِي غَيْرِ اللهِ -تَعَالَىٰ-.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ**»(١).

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ**». ثُمَّ يُبَيِّنُ النَّبِيُّ ﷺ أَمْرًا نَفْسِيًّا يَعْتَرِي النَّاسَ عِنْدَمَا لَا يَكْسِرُونَ حِدَّةَ الْبَشَرِيَّةِ الْمُوغِلَةِ فِي الطِّينِيَّةِ فِيهِمْ، فَيَتَرَفَّعُ الْأَخُ عَلَىٰ أَخِيهِ، عِنْدَمَا يَلْقَاهُ وَهُوَ لَهُ مُخَاصِمٌ، فَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ**»(٢).

---

(١) «الأدب المفرد» للبخاري (رَقْم ٣٩٨)، وأَخْرَجَهُ -أيضًا- في «صحيحه» (رَقْم ٦٠٦٥ و٦٠٦٦ و٦٠٧٦)، وَمُسْلِمٌ (رَقْم ٢٥٥٨).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٧٧، و٦٢٣٧)، ومسلم (٢٥٦٠)، من حديث: أَبِي أَيُّوبَ رضي الله عنه، بلفظ: «**لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيُعْرِضُ هَذَا وَيُعْرِضُ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ**»، وبنحوه في «الصحيحين» -أيضًا- من حديث: أنس رضي الله عنه، وفي «صحيح مسلم» من حديث: ابْنِ عُمَرَ، وأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما.

وَيَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(١)، مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّىٰ يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**».

❀❀❀

(١) «صَحِيح الْبُخَارِيّ» (رَقْم ٣٤ و٢٤٥٩ و٣١٧٨)، و«صَحِيح مُسْلِم» (رَقْم ٥٨)، وفي رِوَايَة لهما: «**وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ**» بدلًا من «**إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**».

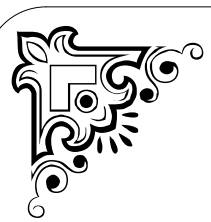
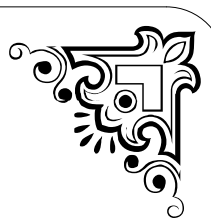

الْكِبْرُ سَبَبُ كُفْرِ وَتَكْذِيبِ الْمُشْرِكِينَ

إِنَّ الْكِبْرَ سَبَبٌ فِي كُفْرِ وَتَكْذِيبِ الْمُكَذِّبِينَ فِي الْأُمَمِ السَّابِقَةِ؛ قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حِكَايَةً عَنْ نُوحٍ عليه السلام: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ [نوح: ٧].

وَقَالَ تَعَالَى عَنْ قَوْمِ هُودٍ: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ﴾ [فصلت: ١٥-١٦].

وَقَالَ ﷻ عَنْ قَوْمِ صَالِحٍ عليه السلام: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الأعراف: ٧٥-٧٦].

وَقَالَ تَعَالَى عَنْ قَوْمِ شُعَيْبٍ عليه السلام: ﴿۞ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [الأعراف: ٨٨].

وَقَدْ حَمَلَ الْكِبْرُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى تَكْذِيبِ أَنْبِيَائِهِمْ وَقَتْلِهِمْ بَعْضِهِمْ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧].

وَلَقَدْ كَانَ الْكِبْرُ وَالِاسْتِعْلَاءُ سَبَبًا فِي عَدَمِ دُخُولِ كَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فِي الْإِسْلَامِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٥-٣٦].

وَكَذَلِكَ مَنَعَ الْكِبْرُ الْيَهُودَ أَنْ يُؤْمِنُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ رَغْمَ تَيَقُّنِهِمْ مِنْ صِدْقِهِ فِي نُبُوَّتِهِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦].

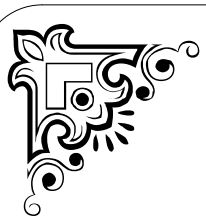

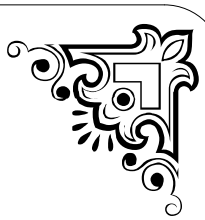

عَاقِبَةُ الْكِبْرِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

إِنَّ عَاقِبَةَ الْمُسْتَكْبِرِينَ وَخِيمَةٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ أَفْرَادًا كَانُوا أَوْ أُمَمًا، فَهَلَاكُ الْأُمَمِ وَالْقُرَى الَّتِي عَتَتْ وَاسْتَكْبَرَتْ سُنَّةٌ مَاضِيَةٌ فِي خَلْقِ اللهِ ﷻ، قَالَ اللهُ -تَعَالَىٰ- حِكَايَةً عَنْ فِرْعَوْنَ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٣٨-٤٠].

* **لَقَدْ أَعَدَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عُقُوبَاتٍ دُنْيَوِيَّةً وَعِنْدَ الْمَوْتِ وَفِي الْبَرْزَخِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْمُسْتَكْبِرِينَ عَلَى أَمْرِ اللهِ وَتَوْحِيدِهِ وَعِبَادَتِهِ**؛ فَقَدْ أَخْبَرَ -تَعَالَىٰ- عَنْ عِقَابِ مَنْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ؛ فَلَمْ يُؤْمِنْ بِهَا -مَعَ أَنَّهَا آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ- وَاسْتَكْبَرَ عَنْهَا، فَلَمْ يَنْقَدْ لِأَحْكَامِهَا، بَلْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ أَنَّهُمْ آيِسُونَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ، فَلَا تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لِأَرْوَاحِهِمْ إِذَا مَاتُوا وَصَعِدَتْ تُرِيدُ الْعُرُوجَ إِلَىٰ اللهِ، فَتَسْتَأْذِنُ فَلَا يُؤْذَنُ لَهَا.

كَمَا لَمْ تَصْعَدْ فِي الدُّنْيَا إِلَىٰ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَمَعْرِفَتِهِ وَمَحَبَّتِهِ؛ كَذَلِكَ لَا تَصْعَدُ بَعْدَ الْمَوْتِ؛ فَإِنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟

بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٤٠].

وَأَخْبَرَ اللهُ ﷻ أَنَّ الْمُسْتَكْبِرِينَ عَنِ الْإِيمَانِ بِآيَاتِهِ لَهُمْ مَثْوَى الْحَسْرَةِ وَالنَّدَمِ، وَمَنْزِلُ الشَّقَاءِ وَالْأَلَمِ، وَمَحَلُّ الْهُمُومِ وَالْغُمُومِ، وَأَنَّهُمْ فِي الْعَذَابِ الدَّائِمِ الْمَلَازِمِ، قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا: ﴿ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [النحل: ٢٩].

وَمِنْ عَوَاقِبِ الْكِبْرِ الْوَخِيمَةِ: أَنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ [النحل: ٢٣].

وَقَالَ ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [الحديد: ٢٣].

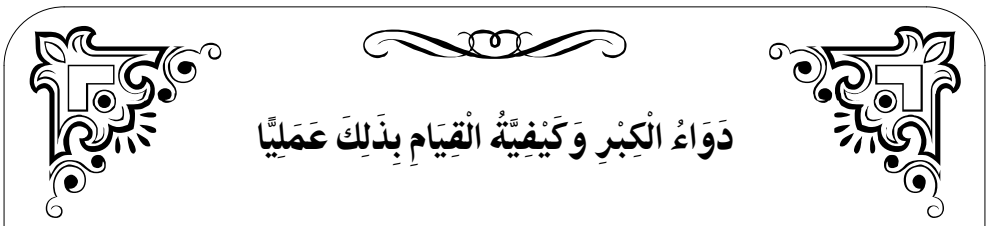

دَوَاءُ الْكِبْرِ وَكَيْفِيَّةُ الْقِيَامِ بِذَلِكَ عَمَلِيًّا

إِنَّ مِنَ الْأَخْلَاقِ الَّتِي حَذَّرَ مِنْهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بَعْدَ تَحْذِيرِ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهَا هَذَا الْخُلُقَ الذَّمِيمَ الَّذِي هُوَ خُلُقُ الْكِبْرِ؛ الَّذِي هُوَ دَفْعُ الْحَقِّ فِي وَجْهِ الْقَائِلِ، وَأَيْضًا هُوَ: احْتِقَارُ الْخَلْقِ وَغَمْطُهِمْ، وَالنَّظَرُ إِلَيْهِمْ بِنَظَرِ الِاحْتِقَارِ وَالِاسْتِعْلَاءِ وَالِاسْتِعْظَامِ، فَهَذَا الْخُلُقُ الْمَذْمُومُ ذَمَّهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَذَمَّهُ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ.

وَقَدْ بَيَّنَ لَنَا الْعُلَمَاءُ -عَلَيْهِمُ الرَّحْمَةُ- أَنَّ الْإِنْسَانَ يَتَكَبَّرُ بِأَسْبَابٍ، هَذِهِ الْأَسْبَابُ تَنْقَسِمُ فِي الْبَدْءِ إِلَىٰ أَمْرَيْنِ كَبِيرَيْنِ:

*** إِمَّا أَمْرٍ دُنْيَوِيٍّ.**

*** وَإِمَّا أَمْرٍ دِينِيٍّ.**

فَالْأَمْرُ الدِّينِيُّ: يَنْقَسِمُ إِلَىٰ أَمْرَيْنِ؛ إِلَى الْعِلْمِ، وَالْعَمَلِ.

وَأَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِالدُّنْيَوِيِّ؛ فَهُوَ النَّسَبُ وَالْجَمَالُ، وَالْقُوَّةُ، وَالْمَالُ، وَكَثْرَةُ الْأَنْصَارِ.

فَهَذِهِ سَبْعَةُ أَسْبَابٍ؛ سَبَبَانِ دِينِيَّانِ، وَهُمَا الْعِلْمُ وَالْعَمَلُ، فَيَتَكَبَّرُ الْإِنْسَانُ بِعِلْمِهِ، وَيَتَكَبَّرُ الْعَابِدُ بِعِبَادَتِهِ وَعَمَلِهِ.

وَخَمْسَةُ أَسْبَابٍ تَتَعَلَّقُ بِالدُّنْيَا، وَهِيَ: النَّسَبُ، وَالْجَمَالُ، وَالْقُوَّةُ، وَالْمَالُ، وَكَثْرَةُ الْأَنْصَارِ.

وَالْعُلَمَاءُ -رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمْ- بَيَّنُوا لَنَا أَنَّ الطَّرِيقَ لِمُعَالَجَةِ الْكِبْرِ وَاكْتِسَابِ التَّوَاضُعِ أَنْ يَدُورَ أَمْرُ الْمُعَالَجَةِ عَلَىٰ مِحْوَرَيْنِ:

* **الْمِحْوَرُ الْأَوَّلُ**: وَهُوَ الْأَصْلُ؛ أَنْ يَقْتَلِعَ الْإِنْسَانُ شَجَرَةَ الْكِبْرِ بِجُذُورِهَا مِنَ الْقَلْبِ.

* **الْمِحْوَرُ الثَّانِي**: أَنْ تَدْفَعَ الْعَارِضَ مِنَ الْكِبْرِ الَّذِي يَعْرِضُ بِسَبَبٍ مِنَ الْأَسْبَابِ الْمُتَقَدِّمَةِ.

وَاسْتِئْصَالُ أَصْلِ الْكِبْرِ مِنَ الْقَلْبِ يَتَفَرَّعُ إِلَىٰ فَرْعَيْنِ:

الْأَوَّلُ: عِلْمِيٌّ.

وَالثَّانِي: عَمَلِيٌّ.

فَأَمَّا الْعِلْمِيُّ؛ فَأَنْ يَتَأَمَّلَ الْإِنْسَانُ فِي أَصْلِهِ وَفِي مَسِيرَةِ حَيَاتِهِ وَفِي نِهَايَتِهِ.

إِذَا عَرَفَ الْإِنْسَانُ قَدْرَ نَفْسِهِ، وَعَرَفَ الْإِنْسَانُ قَدْرَ رَبِّهِ؛ ذَلَّ وَخَشَعَ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَأَنَابَ، وَرَزَقَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ التَّوَاضُعَ.

وَأَمَّا الْعِلَاجُ الْعَمَلِيُّ: فَهُوَ التَّوَاضُعُ للهِ بِالْفِعْلِ، وَلِسَائِرِ الْخَلْقِ بِالْمُوَاظَبَةِ عَلَىٰ أَخْلَاقِ الْمُتَوَاضِعِينَ، وَهَذَا يَحُوزُهُ الْإِنْسَانُ إِذَا عَرَفَ أَخْلَاقَ النَّبِيِّ ﷺ، فَهُوَ الْمِثَالُ، وَهُوَ النَّمُوذَجُ، وَهُوَ الْأُسْوَةُ، وَهُوَ الْقُدْوَةُ، وَالْإِنْسَانُ يَتَأَسَّىٰ بِنَبِيِّهِ ﷺ.

وَالْمَقَامُ الثَّانِي فِيمَا يَعْرِضُ مِنَ التَّكَبُّرِ بِالْأَسْبَابِ السَّبْعَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ؛ يَعْنِي: الَّذِي يَكُونُ بِهِ التَّكَبُّرُ مِنَ الْأُمُورِ الدِّينِيَّةِ: الْعِلْمُ وَالْعَمَلُ، وَالْأُمُورُ الدُّنْيَوِيَّةُ: النَّسَبُ، وَالْجَمَالُ، وَالْقُوَّةُ، وَالْمَالُ، وَكَثْرَةُ الْأَنْصَارِ.

* **أَمَّا النَّسَبُ؛** فَمَنْ يَعْتَرِيهِ الْكِبْرُ مِنْ جِهَةِ النَّسَبِ فَلْيُدَاوِ قَلْبَهُ بِمَعْرِفَةِ أَنَّ هَذَا جَهْلٌ؛ لِأَنَّهُ تَعَزَّزَ بِكَمَالِ الْغَيْرِ.

* **وَأَمَّا الْجَمَالُ؛** فَعَلَىٰ الْمَرْءِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ بَاطِنِهِ نَظَرَ الْعُقَلَاءِ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَكُونُ إِنْسَانًا بِجَمَالِ مَظْهَرِهِ.

* **وَأَمَّا السَّبَبُ الثَّالِثُ الَّذِي هُوَ الْكِبْرُ بِالْقُوَّةِ،** فَالْإِنْسَانُ لَنْ يَكُونَ أَقْوَىٰ مِنْ حِمَارٍ وَلَا مِنْ بَقَرَةٍ وَلَا مِنْ فِيلٍ وَلَا جَمَلٍ؛ فَأَيُّ افْتِخَارٍ بِصِفَةٍ يَسْبِقُ الْإِنْسَانَ فِيهَا الْبَهَائِمُ؟!!

* **وَأَمَّا السَّبَبُ الرَّابِعُ وَالسَّبَبُ الْخَامِسُ: الْغِنَىٰ وَكَثْرَةُ الْمَالِ، فَهَذَا فِي مَعْنَاهُ كَثْرَةُ الْأَتْبَاعِ وَالْأَنْصَارِ، وَالتَّكَبُّرُ بِالْمَنَاصِبِ وَالْوَلَايَاتِ.**

هَذَا أَمْرٌ ظَاهِرٌ خَارِجٌ؛ يَعْنِي يَتَكَبَّرُ فِيهِ الْإِنْسَانُ بِأَمْرٍ خَارِجٍ عَنْ ذَاتِهِ.

الْكِبْرُ بِالْعِلْمِ وَهُوَ أَعْظَمُ الْآفَاتِ، وَعِلَاجُ الْكِبْرِ بِالْعِلْمِ يَدُورُ عَلَىٰ مِحْوَرَيْنِ:

* **الْأَوَّلُ:** أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ حُجَّةَ اللهِ عَلَىٰ أَهْلِ الْعِلْمِ أَكْبَرُ.

* **الثَّانِي:** أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الْكِبْرَ لَا يَلِيقُ إِلَّا بِاللهِ ﷻ.

وَأَمَّا التَّكَبُّرُ بِالْوَرَعِ وَالْعِبَادَةِ؛ فَالْإِنْسَانُ إِذَا تَكَبَّرَ بِهَذَا الْأَمْرِ فَعَلَيْهِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ خَلْقِ اللهِ، وَيَعْلَمَ أَنَّ هَؤُلَاءِ لَعَلَّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللهِ مِنْ حُسْنِ الْبَاطِنِ وَالْجَمَالِ الَّذِي أَخْفَاهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي الْقُلُوبِ وَالْأَرْوَاحِ وَلَمْ يُبْدِهِ عَلَىٰ الْجَوَارِحِ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ.. لَعَلَّ اللهَ جَلَّوَعَلَا جَعَلَ فِي هَؤُلَاءِ الْبُسَطَاءِ مِنَ الْخَيْرِ الْبَاطِنِ الْكَامِنِ فِي قُلُوبِهِمْ مَا لَمْ يُعْطَ هُوَ عُشْرَ مِعْشَارِهِ.

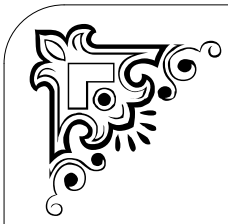

مِنْ مَظَاهِرِ الصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! إِنَّ مِنْ أَجْلَى مَظَاهِرِ الصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ: خُطَبَاءَ الْفِتْنَةِ.

إِنَّ مِنْ مَظَاهِرِ الصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ﷻ تَنَاقُضَ الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ؛ فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي بِرِجَالٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنَ النَّارِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟**»(١).

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «**التفسير**»: ٢/ ٢٨٩، رقم (١٥٣٥)، وأحمد في «**المسند**»: ٣/ ١٢٠، رقم (١٢٢١١)، وابن أبي الدنيا في «**الصمت**» ضمن مجموع الرسائل: ٥/ ٢٩٥ و٣١٨، رقم (٥١٣ و٥٧٥)، وأبو يعلىٰ في «**المسند**»: ٧/ ١٨٠، رقم (٤١٦٠)، وابن أبي داود في «**المصاحف**»: ص٢٥٤، وابن حبان في «**الصحيح**» بترتيب ابن بلبان: ١/ ٢٤٩، رقم (٥٣)، والبيهقي في «**شعب الإيمان**»: ٧/ ٣٨ و٣٩، من طرق: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَىٰ قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، قَالَ: قُلْتُ مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالُوا: خُطَبَاءُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا مِمَّنْ كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ، وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ، وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ، أَفَلَا يَعْقِلُونَ**».

وفي رواية عبد الرزاق وابن أبي الدنيا، بلفظ: «**هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ، يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ**»، وفي رواية للبيهقي، بلفظ: «**خُطَبَاءٌ من أُمَّتِكَ الَّذِينَ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ،**
=

فَقَالَ: هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ، يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ».

هَؤُلَاءِ خُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ.. وَهَؤُلَاءِ الْخُطَبَاءُ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ صِفَاتِهِمْ: أَنَّهُمْ يَقُولُونَ شَيْئًا وَيَفْعَلُونَ سِوَاهُ.

وَإِذَنْ؛ فَقَدْ قَعَدُوا عَلَىٰ بَابِ الْجَنَّةِ وَعَلَىٰ صِرَاطِهَا، يَدْعُونَ النَّاسَ إِلَىٰ الْجَنَّةِ بِأَقْوَالِهِمْ، وَيَصُدُّونَهُمْ عَنْهَا بِأَفْعَالِهِمْ!!

هَؤُلَاءِ أَقْوَامٌ مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ.

* **كَذَلِكَ مِنْ أَكْثَرِ مَنْ يَصُدُّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ: الْخَوَارِجُ**؛ فَهَؤُلَاءِ الضُّلَّالُ خَطَرٌ كَبِيرٌ عَلَىٰ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَمَا أُتِيَتْ فِي هَذَا الْعَصْرِ إِلَّا مِنْ قِبَلِ هَذِهِ الْمُسُوخِ الشَّائِهَةِ.

عَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ؛ حُدَثَاءُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ**(١)، **يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِّيَّةِ**(٢)، **يَمْرُقُونَ مِنَ**

=

وَيَقْرَءُونَ كِتَابَ اللهِ وَلَا يَعْمَلُونَ»، وفي رواية له -أيضًا- بلفظ: «**رَأَيْتُ أَقْوَامًا تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نارٍ أَوْ قَالَ: مِنْ حَدِيدٍ،...**».

والحديث صححه الألباني في «**الصحيحة**»: ١/ ٥٨٥، رقم (٢٩١).

(١) «**حُدَثَاءُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ**»، أي: صِغَارُ الْأَسْنَانِ صِغَارُ الْعُقُولِ.

(٢) «**يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِّيَّةِ**»، أي: فِي ظَاهِرِ الْأَمْرِ، كَقَوْلِهِمْ: لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، وَنَظَائِرِهِ

=

الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ؛ فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ(١)»(٢).

=

مِنْ دُعَائِهِمْ إِلَىٰ كِتَابِ اللهُ تَعَالَىٰ.

(١) هَذَا تَصْرِيحٌ بِوُجُوبِ قِتَالِ الْخَوَارِجِ، وَهُوَ إِجْمَاعٌ من سلف الأمة وخلفهم، قال النووي في شرحه علىٰ «**صحيح مسلم**»: (٧/ ١٦٩ و١٧٠) في شرح هذا الحديث: «هَذَا تَصْرِيحٌ بِوُجُوبِ قِتَالِ الْخَوَارِجِ وَالْبُغَاةِ وَهُوَ إِجْمَاعُ الْعُلَمَاءِ»، وقَالَ الْقَاضِي عياض في «**إكمال المعلم**»: (٢/ ٦١٣ و ٦١٤): «أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَىٰ أَنَّ الْخَوَارِجَ وَأَشْبَاهَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ وَالْبَغْيِ مَتَىٰ خَرَجُوا عَلَىٰ الْإِمَامِ وشقوا عصا المسلمين ونصبوا راية الخلاف وَجَبَ قِتَالُهُمْ بَعْدَ إِنْذَارِهِمْ وَالِاعْتِذَارِ إِلَيْهِمْ،... » إلىٰ أن قال: «...، وَدَمُهُمْ فِي حَالِ الْقِتَالِ هَدَرٌ، وَكَذَا أَمْوَالُهُمُ الَّتِي تُتْلَفُ فِي الْقِتَالِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ [**الحجرات: ٩**]».

والخوارج: فرقة من الفرق الضالة افترقت إلىٰ عشرين فرقة، وكلهم أجمعوا علىٰ وجوب الخروج علىٰ الإمام الحق ذا الشوكة الجائر، وخلع طاعته وعصيانه والتأليب عليه، وأجمعوا أيضا علىٰ إكفار علي وعثمان وأصحاب الجمل وكل من رضي بتحكيم الحكمين، وقالوا لعلي رضي الله عنه: «لم حكمت الرجال؟ لا حكم إلا لله»، وكذا قالوا في كل زمان ومكان وكفروا الحكام للتحكيم، وأيضا أكثرهم علىٰ تكفير مرتكب الكبيرة وأنه مخلدا أبدا في النار.

انظر: «**مقالات الإسلاميين**» لأبي الحسن الأشعري: (ص٨٦ – ١٣١)، و «**الملل والنحل**» للشهرستاني: (١/ ١١٤ – ١٣٨)، و «**الفرق بين الفرق**» لأبي منصور الإسفراييني: (ص٧٢ – ١١٣).

(٢) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (١٢/ ٢٨٣، رقم ٦٩٣٠)، ومسلم في «**الصحيح**»: (٢/ ٧٤٦، رقم ١٠٦٦)، من حديث: علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

=

قَالَ اللَّالَكَائِيُّ مُقَرِّرًا عَقِيدَةَ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَنَاقِلًا هُنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللهُ

قَوْلُهُ: «وَمَنْ خَرَجَ عَلَىٰ إِمَامٍ مِنْ أَئِمَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَقَدْ كَانَ النَّاسُ اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ، وَأَقَرُّوا لَهُ بِالْخِلَافَةِ بِأَيِّ وَجْهٍ كَانَ؛ بِالرِّضَا أَوْ بِالْغَلَبَةِ، فَقَدْ شَقَّ هَذَا الْخَارِجُ عَصَا الْمُسْلِمِينَ، وَخَالَفَ الْآثَارَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِنْ مَاتَ الْخَارِجُ عَلَيْهِ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَةً[1].

=

وفي رواية لمسلم (٢/ ٧٤٧)، بلفظ: «...، **لَوْلَا أَنْ تَبْطَرُوا لَحَدَّثْتُكُمْ بِمَا وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ يَقْتُلُونَهُمْ عَلَىٰ لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ**،... »، وله أيضا (٢/ ٧٤٨)، بلفظ: «... ، **لَوْ يَعْلَمُ الْجَيْشُ الَّذِينَ يُصِيبُونَهُمْ مَا قُضِيَ لَهُمْ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِمْ ﷺ لَاتَّكَلُوا عَنِ الْعَمَلِ**،... ».

(١) أخرج البخاري في «**الصحيح**»: (١٣/ ٥، رقم ٧٠٥٣ و ٧٠٥٤)، ومسلم في «**الصحيح**»: (٣/ ١٤٧٧ - ١٤٧٨، رقم ١٨٤٩)، من حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا، فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا، فَمَاتَ عَلَيْهِ، إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**».

وَالمراد بـ(المِيتَة الجاهلية): حالةُ الموت كموت أهل الجاهلية علىٰ ضلال: ليس له إمام مطاع؛ لأنهم كانوا لا يعرفون ذلك، انظر: شرح النووي علىٰ «**صحيح مسلم**»: (١٢/ ٢٣٨).

وقال إسحاق بن إبراهيم بن هانئ في «**مسائل الإمام أحمد**»: (٢/ رقم ٢٠١١): سألت أبا عبد الله أحمد بن حنبل، عَنْ حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ: «**مَنْ مَاتَ وَلَيْسَ لَهُ إِمَامٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»، مَا مَعْنَاهُ؟ قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ: «تَدْرِي مَا الْإِمَامُ؟، الْإِمَامُ الَّذِي يُجْمِعُ الْمُسْلِمُونَ عَلَيْهِ، كُلُّهُمْ يَقُولُ: هَذَا إِمَامٌ، فَهَذَا مَعْنَاهُ».

وَلَا يَحِلُّ قِتَالُ السُّلْطَانِ، وَلَا الْخُرُوجُ عَلَيْهِ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُو مُبْتَدِعٌ عَلَىٰ غَيْرِ السُّنَّةِ وَالطَّرِيقِ»(١).

فَاتَّقُوا اللهَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ!

اتَّقُوا اللهَ فِي دِينِكُمْ!

وَاتَّقُوا اللهَ فِي وَطَنِكُمْ!

اتَّقُوا اللهَ فِي وَطَنِكُمْ فَإِنَّهُ يُرْفَعُ فِيهِ الْأَذَانُ، وَتُقَامُ فِيهِ الصَّلَوَاتُ وَالْجَمَاعَاتُ، وَتُؤَدَّىٰ فِيهِ الْقُرُبَاتُ، وَيُجْهَرُ فِيهِ بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَتُؤَدَّىٰ فِيهِ الزَّكَوَاتُ، وَيُقَامُ فِيهِ مِنْ أَمْرِ اللهِ مَا لَا يُحْصِيهِ إِلَّا اللهُ!

فَاتَّقُوا اللهَ فِي أَمْنِهِ!

---

(١) جزء من رسالة «**أصول السنة**» للإمام أحمد رواية عَبْدُوس بْن مَالِكٍ الْعَطَّار، أخرجها عنه اللالكائي في «**شرح أصول الاعتقاد**»: (١/ ١٧٥ - ١٨٥، رقم ٣١٧)، وابن أبي يعلىٰ في «**طبقات الحنابلة**»: (١/ ٣١٤ - ٢٤٦، ترجمة ٣٣٨)، وابن الجوزي في «**مناقب الإمام أحمد**»: (ص٢١٦ و ٢١٧)، بإسناد صحيح، عَنْ عَبْدُوس بْنِ مَالِكٍ الْعَطَّارِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ أَحْمَدَ بْنَ مُحَمَّدِ بْنِ حَنْبَلٍ، يَقُولُ:
«أُصُولُ السُّنَّةِ عِنْدَنَا: التَّمَسُّكُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَالِاقْتِدَاءُ بِهِمْ،...»، إِلَىٰ أَنْ قَالَ:
«وَمَنْ خَرَجَ عَلَىٰ إِمَامٍ الْمُسْلِمِينَ وَقَدْ كَانَ النَّاسُ اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ وَأَقَرُّوا لَهُ بِالْخِلَافَةِ بِأَيِّ وَجْهٍ كَانَ بِالرِّضَا أَوْ بِالْغَلَبَةِ، فَقَدْ شَقَّ هَذَا الْخَارِجُ عَصَا الْمُسْلِمِينَ، وَخَالَفَ الْآثَارَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِنْ مَاتَ الْخَارِجُ عَلَيْهِ مَاتَ مِيتَةَ جَاهِلِيَّةٍ، وَلَا يَحِلُّ قِتَالُ السُّلْطَانِ وَلَا الْخُرُوجُ عَلَيْهِ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ عَلَىٰ غَيْرِ السُّنَّةِ وَالطَّرِيقِ».

اتَّقُوا اللهَ فِي سَلَامَتِهِ!

احْذَرُوا وُقُوعَ الْفَوْضَىٰ فِيهَا؛ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ وَلَا فِي مُسْلِمٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً!

نَسْأَلُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَنْ يَهْدِيَهُمْ أَوْ أَنْ يُطَهِّرَ الْأَرْضَ مِنْهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ رِجْسٌ، نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَهُمْ وَشَرَّهُمْ عَنِ الْمُسْلِمِينَ فِي بِقَاعِ الْأَرْضِ كُلِّهَا، إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

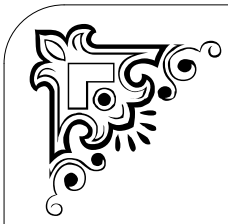

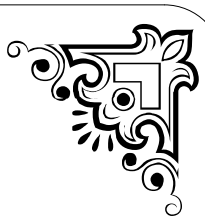

رِسَالَةٌ إِلَى الْمُتَكَبِّرِينَ!!

قَالَ ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**»(١). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَكَمَا أَنَّ مَنْ تَوَاضَعَ رَفَعَهُ اللهُ، فَكَذَلِكَ مَنْ تَكَبَّرَ عَنْ الِانْقِيَادِ لِلْحَقِّ أَذَلَّهُ اللهُ، وَوَضَعَهُ، وَصَغَّرَهُ، وَحَقَّرَهُ.

وَأَنَا -يَعْلَمُ اللهُ جَلَّ وَعَلَا- لَا أَعْلَمُ لِمَاذَا يَتَكَبَّرُ مُتَكَبِّرٌ، وَبِأَيِّ شَيْءٍ، وَأَوَّلُهُ نُطْفَةٌ مَذِرَةٌ، وَآخِرُهُ جِيفَةٌ قَذِرَةٌ، وَهُوَ مَا بَيْنَهُمَا يَحْمِلُ الْعَذِرَةَ؟!!

بِأَيِّ شَيْءٍ يَتَكَبَّرُ مَنْ يَتَكَبَّرُ؟!!

يَا هَذَا! تَطَامَنْ وَتَوَاضَعْ للهِ أَيُّهَا الْعَبْدُ الذَّلِيلُ قَبْلَ أَنْ يَقْصِمَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَيُذِلَّكَ، حَتَّىٰ تَصِيرَ آيَةً بَيْنَ الْعَالَمِينَ!!

أَسْأَلُ اللهَ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَنَا، وَأَنْ يُحَسِّنَ أَفْعَالَنَا وَأَعْمَالَنَا، إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، ﷺ.

---

(١) تقدم تخريجه.

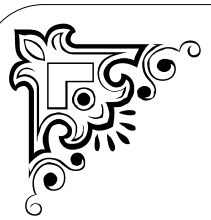

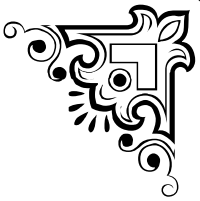

الفِهْرِسُ

مُقَدِّمَةٌ ٣

الْأَمْرُ بِالتَّوَاضُعِ وَحْيٌ إِلَهِيٌّ ٤

النَّبِيُّ ﷺ الْأُسْوَةُ فِي التَّوَاضُعِ ٥

التَّرْهِيبُ مِنَ الْكِبْرِ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ ٩

مِنْ مَظَاهِرِ الْكِبْرِ: الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ وَعَدَمُ الْخُضُوعِ لِلْحَقِّ ١٢

مِنْ مَظَاهِرِ الْكِبْرِ: تَصْعِيرُ الْخَدِّ وَالِاخْتِيَالُ فِي الْمَشْيِ ١٤

مِنْ مَظَاهِرِ الْكِبْرِ: الِاخْتِيَالُ بِنِعَمِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ١٥

مِنْ مَظَاهِرِ الْكِبْرِ: التَّرَفُّعُ عَنْ مُجَالَسَةِ الْفُقَرَاءِ احْتِقَارًا لَهُمْ ١٦

مِنْ مَظَاهِرِ الْكِبْرِ: التَّرَفُّعُ عَنْ إِلْقَاءِ السَّلَامِ ١٨

مِنْ مَظَاهِرِ الْكِبْرِ: اللَّدَدُ فِي الْخُصُومَةِ وَالْفُجُورُ فِيهَا ١٩

الْكِبْرُ سَبَبُ كُفْرٍ وَتَكْذِيبِ الْمُشْرِكِينَ ٢١

عَاقِبَةُ الْكِبْرِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ٢٣

دَوَاءُ الْكِبْرِ وَكَيْفِيَّةُ الْقِيَامِ بِذَلِكَ عَمَلِيًّا ٢٥

مِنْ مَظَاهِرِ الصَّدِّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ ٢٩

رِسَالَةٌ إِلَى الْمُتَكَبِّرِينَ!! ٣٥